مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

أهمية التاريخ الشفوي في توثيق وحفظ التراث

The importance of oral history in documenting and preserving heritage

د. سكينة عصامي

Dr. .Soukeyna Issami

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس– تونس

مخبر الدراسات والبحوث المتداخلة والمقارنة LERIC

soukeynaissami.t@gmail.com

تاريخ الارسال : 2019/06/19	تاريخ القبول : 2020/05/31	تاريخ النشر : 2021/08/31	المؤلف المرسل : د/ سكينة عصامي

الملخص

إن الاهتمام بجمع وتدوين التراث الشفهي من قبل الباحثين والمؤرخين قد أضحى أمرا مهما وأساسيا للحفاظ على مخزون تراثي كبير وعميق بات يهدده النسيان في عصر التحديث والعولمة، وإن اختلفت طرق التعامل مع هذا المخزون وتعدّدت فإن الالتزام بإتباع منهج علمي دقيق يعد ضروريا. فعملية تجميع التراث الشفوي وتدوينه ليست بالأمر الهين والبسيط كما يتراء للعديد ولا تتم بطريقة عشوائية إذ يجب أن يخضع التراث الشفهي للفحص الدقيق بواسطة المنهج التاريخي الصارم للتمكّن بنجاح من تحويل الروايات الشفهية إلى تاريخ مدّون.

الكلمات المفتاحية: الثراث الشفوي، المنهج التاريخي، الرواية الشفوية، الوثيقة التاريخية ، الفكر التاريخي

Abstract

The interest in collecting and documenting the oral heritage by researchers and historians has become important and essential to preserve a large and deep heritage stock that is threatened by forgetfulness in the era of modernization and globalization, although different ways of dealing with this inventory and many, the commitment to follow a scientific approach is necessary. The process of assembling and documenting oral heritage is not as easy and simple as it seems to many and is not done in a random manner. Oral heritage must be scrutinized strictly by a rigorous historical approach to successfully convert oral narratives into a written history.

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

المقدمة

إن أهمية التراث الشفهي أو الشفوي بدأت تزداد في الآونة الأخيرة باعتباره مصدرا تاريخيا، وأصبح يلقى رواجا كبيرا في الأوساط العلمية، ولعل ما أخر دخول التراث الشفوي إلى دائرة التاريخ، نزعة السيطرة النصية textualité على عقول العلماء والباحثين، تلك النزعة التي تجعلنا أيضا لا نتعامل مع التراث الشفهي إلا من خلال النصوص المدونة، ويعتبر التاريخ الشفوي منهج بحث، وظيفته دراسة الماضي من خلال ذاكرة منطوقة قوامها روايات الأفراد واستحضار حيويتهم وخبراتهم ومشاهداتهم، لا سيما تلك التي شاركوا فيها أو كانوا مجرد شهود عيان عليها، وتحمل هذه الروايات، والاستحضارات ترتيبا كرونولوجيا[1]. وللأسف هناك إهمال إن لم نقل جهل لعملية التعامل مع التراث الشفهي وذلك في عملية الجمع والتدوين التي لا تخضع إلى منهج علمي دقيق.

1. تعريف التراث الشفهي

كلمة " **التراث**" في اللغة مشتقة "**من مادة "ورث"، والمأثور والتراث والميراث والموروث والإرث هي ألفاظ عربية مترادفة وردت في اللّغة كالحسب**"[2].

وتستخدم الكلمة مجازا للدلالة على ما هو معنوي ، يقال "**هو ارث مجد ، والمجد متوارث بينهم وهو الورثة، وهم الورثة والوراث**"[3].

بمرور الوقت " **اكتسبت في الخطاب العربي المعاصر معنى أخر، فصارت تدل على الموروث الثقافي، وبذلك يكون الاستخدام الجديد مما يناسب احتياجات التعبير المعاصرة ، والذي لا يخرج عن نطاق المعنى الموروث ، لأنه نابع من مفردات التفكير العربي**"[4]

التراث الشفهي هو: "**مجموعة التقاليد من أساطير ووقائع ومعارف ومذاهب وآراء وعادات وممارسات**"[5].

وهو أيضا: "**انتقال غير مادي للمذاهب والممارسات الدينية والأخلاقية المتوارثة من عصر إلى آخر بواسطة الكلمة المنطوقة**"[6].

فصار بذلك التراث معبرا عن جميع ما يخص الإنسان العربي ماديا ومعنويا، بل هو جزء من مكونات الإنسان العربي ونفسيته ، فيشمل بذلك "التقاليد، والعادات، والتجارب، والخبرات، والفنون...انه جزء أساسي من موقفه الثقافي والاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي"[7].

وقد انساق مفهوم التراث الشفوي oral tradition وراء مصطلح الفولكلور، وهو اصطلاح أجنبي منحوت من كلمتين folk و lore بمعنى حكمة الشعب. والفلكلور في مجمله تراث غير مكتوب يجمع الشعر والحكايات والأمثال الشعبية والألغاز والنكت التي تندرج في إطار الأدب الشعبي الذي يعتبر من أبرز موضوعات الفولكلور والأكثر عراقة، وهو تراث شفاهي منقول بين الناس يحمل أفكارهم وأحاسيسهم ويحتوي ثقافتهم وتصوراتهم الحياتية المختلفة.

فالتراث الشفوي ليس ككلامنا اليومي، فهو يستند إلى بناء تركيبي خاص، و يخضع لمعاني خالدة،

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

أي أن القيمة الجوهرية لهذا النوع من التراث لا تتوقف عند مرحلة معينة من الاستعمال بل هي مستمرة باستمرار حضوره في حياة المجتمع الذي يحمله ويحافظ عليه، ويجعله سندا لاستعمالاته الخطابية، لان ما يكتنزه هذا المكون الشفوي قد لا نجده في التراث المدوّن، وكما قيل قديما " قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر".

من خلال ما سبق يتبين أن الموروث الشفوي مكون أساسي من مكونات الهوية الثقافية لذلك ينبغي الحفاظ عليه من خلال تدوينه، فما يحمله من بنية جمالية وفكرية كفيل بتفعيل التواصل في ما بيننا فهو ينمي فكرنا ويكسبنا مهارات خطابية مميزة نحن بحاجة لها لإعادة الحركية والدينامية والنشاط لعقولنا التي تحجرت عند لغة الحياة العادية.

تبنى العديد من المؤرخين اختيار مصطلح التراث الشفهي باعتباره أقرب للتاريخ من المصطلحات الأخرى مثل التراث الشعبي والمأثورات الشعبية والفولكلور...

2. تاريخ التأريخ الشفهي

عند مطلع الخمسينات بدأ الاهتمام فعليا بدراسة التاريخ الشفهي بعد أن ثبت انه مصدر أساسي من مصادر التاريخ ووثيق الصلة به ذلك أن الأول يعد مرآة المرحلة الحضارية التي يعيشها الناس وهو يعبّر عن أفكارهم وعواطفهم، كما أنه يصور شيئا غير يسير من النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة بل إنّ بعض الباحثين يعتقد أن التاريخ المدون ولد في أحضان التراث الشفهي[8].

أما مكونات التراث الشفهي فهي الحكايات والقصص والسير الشعبية والأمثال والحكم والغناء والشعر وهنا يصح القول : أن المأثورات الشفهية يمكن أن تعزّز الثقة في بعض النواحي التاريخية مع العلم أن بعض العلماء يرون العكس هو الصحيح، إذ يجب في نظرهم فحص التراث الشفهي من منظور التاريخ المدوّن أو الآثار أو اللّغة[9]. وهنا جاءت ضرورة التعامل بطريقة خاصة حيث اقترح Bauer تقسيم المأثور الشفهي إلى قسمين:

– الأول يشمل كل المصادر المعروفة أو الثابتة أو المتغيرة الصحيحة أو المحرفة.

– الثاني هي المصادر التي لم يعرف مؤلفوها والتي انتشرت في المجتمع بطريقة غير معروفة مثل الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم والسير والنوادر والأمثال والأغاني الشعبية[10].

قبل ظهور الكتابة كان التاريخ لا يتعدى ذكر الأساطير التي تتداول في شكل روايات شفوية فأقدم ما وصلنا عن المصريين والبابليين والآشوريين تضمن ذكر الخوارق والحيوانات الغريبة، وقد عرفت الرواية الشفوية التاريخية في العصر الجاهلي الذي انتشرت فيه روايات المفاخر وسرد مثالب الخصوم...كل ذلك عرف عن طريق الرواية الشفوية[11]. كما كان للعرب قبل ظهور الإسلام جزء من الأخبار التاريخية أكثرها يدور حول ما يسمى أيام العرب والتي رغم عدم ثباتها تعد مصدرا من مصادر التاريخ العربي قبل الإسلام، واستمر تناقلها شفاهيا إلى غاية بدء تدوينها في العصر الأموي. عند ظهور الإسلام اهتم العرب بالتاريخ والتراث سواء

المنقوش أو الشفوي[12]، وقد بدأت عملية التدوين الحقيقية عند المسلمين عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم كتابه ما يمليه عليه الوحي.

عرف المؤرخون الأوائل من المسلمون الرواية الشفوية مبكرا ووضعوا لها شروطا وضوابط منهجية عندما اتضحت أهميتها لديهم في الحفاظ على التراث الإسلامي، وأبدعوا في اعتمادها لتدوين تاريخهم وفضلوها على الوثائق المكتوبة.

وقد اعتبر ابن خلدون في مقدمته الرواية الشفوية جزءا من التاريخ ومكملا له وذلك عندما تصبح الرواية الشفوية كمصدر من مصادر التاريخ في تعرضها للنقد: "كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشيائها ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"[13].

وفي نفس السياق ذكر الطبري:" وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسخ فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدراك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضيين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس فما يكن من كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين مما يستنكره قارئه أو يستثقه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من قبل بعض ناقليه وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[14].

كم عدّت أهم الحضارات والثقافات المعروفة والمدونة في الأصل شفهية كالإلياذة والأوديسة وغيرها من آثار اليونان، واعتبر هوميروس أول مؤرخ شفهي دونت أعماله ومن بعده هردوت Hérodote الذي اعتمد على الرواية الشفهية لكتابة تاريخ الحروب الميدية، وتسديد Thucydide الذي طور منهج التأريخ بالاعتماد على الرواية الشفوية في مقدمة كتابه حول حروب البيلوبونيز، وبذلك فقد اخترعا فكرة الشهادة العينية البصرية والسمعية وقاما بأول البحوث الشفوية[15]. أما بوليب Polybe فقد أعلن تفوّق الشهادة الشفهية والمباشرة على المصادر المكتوبة وضرورة قيام المؤرخ ببحث ميداني، وبذلك فقد تعمّم هذا المنهج على امتداد قرون مع مؤرخي روما الجمهورية ثم الإمبرطورية إلى نهاية القرن الرابع ميلادي، واعتمد المؤرخون على شهادات معاصريهم في كتابة التاريخ المباشر للفترة التي عاصروها.

في العصر المسيحي كان للروايات الشفهية مكانة هامة فأغلب المسيحيين لم يكونوا قادرين على القراءة، حيث تبرز الرواية الشفهية في أسفار الإنجيل التي امتد تأليفها على مدى خمس وسبعين سنة ومثل ذلك يقال عن أسفار الابوكريف[16].

وفي العصور الوسطى الأوروبية تأثرت الكتابات التاريخية بالبعد المسيحي والتوجهات الملكية لبناء الدول والإمارات الأوروبية الشيء الذي أدى الى

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

تراجع التأريخ الذي أصبح يستخدم في اللاهوت والحكم فكان لا بد من إعادة اكتشاف الفلسفة الإنسانية، لم يكن أمام المؤرخين إلا الروايات الشفهية مصدرا لتواريخهم فكان أكثر اعتمادهم عليها وعلى مذكراتهم الشخصية أو على شهادة عيان. وقد اعتبر كتاب Book Bomesday أول مصدر في تاريخ أنقلترا الاجتماعي والاقتصادي في الفترة النورماندية تحديدا سنة 1086 وكانت الروايات التي قدمت مشافهة هي عماد هذا الكتاب[17]، ومثل ذلك الأغنية الشعبية القصصية والشعر الأنقليزي القديم والوسيط...؟؟؟

خلال القرن التاسع عشر لم يول الباحثون اهتماما بالحكايات الشفهية عكس النصوص المكتوبة، ومع الحركة العلمانية تم إنشاء مؤسسات بحثية وعلمية وأرشيفية تعنى بالحقوق والذاكرة والبحث التاريخي، في مطلع القرن التاسع عشر ظهرت في فرنسا كما في أنقلترا مركز الأرشيف الوطني ومع ذلك استمر المؤرخون الرومنطيقيون المتأثرون بالثورة الفرنسية بتقصي الشهادات الشفهية من معاصريهم. فاستعمل Voltaire شهادة المعاصرين في كتابه لويس الرابع عشر، واستمع Michelet على غرار المؤرخين الرومنطقيين إلى همسات الماضي لإنجاز كتابه حول الثورة الفرنسية والآخر الذي يحمل عنوان الشعب[18].

بعد 1945 مع اختراع الحاكي والأشرطة المغنطيسية التي ستمكن من تثبيت الشهادات الشفهية مما يجعلها دائمة وقابلة للدراسة ومن هنا بدأت تتطور مواضيع هامة بالنسبة للتوثيق الشفوي تتعلق بالسرية والخصوصية. تدريجيا أصبحت مدارس التأريخ الشفوي جزءا أساسيا من التأريخ المعاصر: ففي أنقلترا انعقد سنة 1978 المؤتمر الدولي الثاني للتاريخ الشفوي بعد أن انعقد الأول في بولونيا الفرنسية سنة 1976، وكشف المؤتمر الثاني عن وجود تاريخ شفوي بريطاني خاص اهتمامه تاريخ الطبقات العمالية[19]. هذا وقد ازدهر في بريطانيا خلال خمسينات القرن العشرين تيار ريفي وعمالي غير جامعي وغير أكاديمي ارتكز على كتابة تاريخ القرى، والتقى هذا التيار خلال الستينات بتيار اكاديمي جامعي مستلهما من أعمال ريتشارد هوقار حول ثقافة الفقر وبول تومسون الذي أنشأ جمعية التاريخ الشفهي البريطانية في سبعينات القرن العشرين.

وبذلك برزت مجموعة مدربة ومؤهلة من المؤرخين وعلماء الاجتماع والانتروبولوجيين عملت على بعث تاريخ مختلف اجتماعي على أساس التاريخ الشفهي وتاريخ الحياة، وكان الجانب السياسي من هذا التوجه الذي عرف بـ workshops history إرجاع الكلمة للشعب وجعل التاريخ الرسمي تاريخا ديمقراطيا متمايزا مثله مثل تاريخ النخب لذلك كان التاريخ البريطاني تاريخا شعبويا[20]. ومع ذلك لم يهمل التاريخ الشفهي البريطاني أعلى الهرم الاجتماعي اهتم بجمع شهادات شفهية من النخب الاجتماعية والسياسية...في مطلع الثمانينات تأسس الأرشيف الشفوي البريطاني للتاريخ الإداري British oral archive and administrative history وهو محفوظ في مكتبة London school of economics[21].

أما التأريخ الشفوي العربي المعاصر فقط ارتبط الاهتمام به بنكبة 1948 واستمرار التهجير الفلسطيني فولد رحيل الجيل القديم الذي يتذّكر الحياة في فلسطين قبل النكبة إحساسا بضرورة حفظ التاريخ والتراث.

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

أما في أمريكا فقد بدأت منذ عام 1860 أعمال تجميع الشهادات الشفهية وذلك لتخطي غياب المصادر المكتوبة والأرشيفات الإدارية، وقد عدّ ليمان كوبلاند درابر أبا التوثيق الشفهي الأمريكي الذي جمع في عام 1840 ذكريات الجنود السابقين في الثورة الأمريكية. ثم انتظمت بدايات التوثيق الشفهي في أمريكا وفق محورين بدأ الأول في مطلع القرن العشرين والثاني بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت مدرستين هما أصل التاريخ الشفهي في الولايات المتحدة الأمريكية هما مدرسة شيكاغو ومدرسة جامعة كولومبيا التي انصب اهتمامها على تاريخ المهمشين [22]. طوّرت مدرسة شيكاغو نموذجا للبحث التاريخي الميداني تقوم على المقابلات والروايات التي تحكي تاريخ حياة، في هذه المدرسة ارتكزت منهجية روبرت بارك على قاعدتين أولهما المراقبة المباشرة وجمع المعطيات مباشرة والأخرى استخدام طريقة السيرة الذاتية. وفي جامعة كولومبيا أسس آلان نيفنز قسم التوثيق الشفوي لتدوين التاريخ الشفهي لمجموعة من الشخصيات الأمريكية بتسجيلهم على أشرطة تسجيل[23] وأدرك أهمية "إنشاء منظمة تبذل جهودا منهجية للحصول على توثيق شفوي أو كتابي من الأمريكيين الأحياء الذين كانوا شهودا على مرحلة تبيّن مساهمتهم في الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية" وهو ما يسد الثغرات في النصوص والمصادر وأصبح فعلا قسم التاريخ الشفوي في جامعة كولومبيا الذي تم إنشاؤه في عام 1948 [24].

في سنة 1942 قام المؤرخ جوزيف غولد بعملية جمع التاريخ الشفهي لذلك الزمان، ورغم أنه لم يقم بإنتاج أو نشر هذا التاريخ إلا أنه أعطى نوعا من الشعبية والانتشار لمصطلح التاريخ الشفهي[25].

وفي سنة 1949 بدأت أولى التسجيلات مع اختراع أجهزة الحاكي التسجيلية وهي عبارة عن سير ذاتية تم تفريغها وكتابتها بشكل منهجي وقد شمل برنامج المقابلات النخب السياسية والثقافية والاقتصاديين والعسكريين والعلماء ففي سنة 1975 بلغ عدد صفحات المقابلات في قسم التاريخ الشفوي في جامعة كولومبيا 425000 تفريغا من تسجيلات لـ 3500 شاهد ونحو 15000 ساعة وفي عام 1954 بلغ عدد مراكز التاريخ الشفهي في أمريكا أربعة مراكز و 316 مركزا سنة 1973 ليتجاوز الألف سنة 1977 وتم نشر أول دليل منهجي للتوثيق الشفهي سنة 1966 [26].

يمكن القول أن إعادة إدراج المصدر الشفهي في الدراسات التاريخية قد بدأ التحضير له باكرا وبشكل عميق ودقيق عبر زعزعة الأسس الفلسفية والإبستيمولوجية التي أسستها المدرسة التاريخية الفرنسية في شقيها التاريخ الوضعي والحوليات، وقد جاء هذا التحول في دراسة التأريخ الشفوي في العقد الأخير من القرن العشرين الذي تزامن مع تقديم بحوث أكاديمية ارتكزت على دراسة جوانب من مجالات التوثيق الشفوي ومن ثمة تعدّدت المراجع والدراسات حول الأرشفة الشفوية[27]. وبذلك فإن العقد الأخير من القرن العشرين شهد وضع الأسس النظرية والتطبيقية للتوثيق الشفوي دعمه إعلان اليونسكو سنة 2003 عن إعلان لائحة التراث اللامادي والشفوي

لقد عدت الروايات الشفهية وثائق ومستندات لدراسة التاريخ، فأغلب الوثائق المدونة كانت في الأصل روايات شفهية متناقلة قبل أن تدون، وبذلك فإن الوثائق الشفهية لا تقل أهمية عن الوثائق المدونة ولا

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

تتفوق هذه الأخيرة عن الأولى إلا بكونها تخضع لطرق متعددّة للتأكد منها وخلوها من التزوير. وليس بالشيء الصعب أن نضع ضوابط مماثلة لإثبات صحة الوثائق الشفهية قبل تسجيلها بواسطة آلات التسجيل أو تدوينها[28].

إن المقابلة الشخصية أو التاريخ الحي history life تمكن المؤرخ من أن يعيش الأحداث التاريخية التي يدرسها عبر بعض المشاركين فيها أو ممن سمعها وله إمكانية الحوار المباشر معهم واستكشاف جوانب كثيرة عن الماضي، كما يستفيد المؤرخ من الانطباع العام الذي تركته الأحداث اللاحقة في نفس الفرد الذي شارك في صنع الحدث أو شهده أو سمعه ممن شهده وقد ثبت أن العديد من المقابلات الشخصية الشفهية تكشف حقائق تاريخية جديدة تنشر لأول مرّة. ومن هنا فالمصدر الشفهي يعتبر ضرورة علمية لفهم حقائق التاريخ في التعريف الحديث: هي كل ما تركه السلف من أعمال ومخطوطات ووثائق وتسجيلات وعادات وتقاليد وطقوس دينية وفنون وقصص شعبية وأدوات وآلات متوارثة...

3. تحويل الرواية الشفهية إلى تاريخ مدّون

نظرا لأن الرواية الشفهية عرضة للتغير بمرور الزمن والإنسان عرضة للنسيان بسبب تراكم الأحداث أو قد تخونه الذاكرة، فلا بد اذن من دراسة الراوي وان نطبق على الرواة شيئا من منهج المحدّثين ويقوم المؤرخ بدور المحقّق الذي يستوجب الشهود من أجل الوصول إلى الحقيقية[29]. وهنا يصح أن نقول: إن الرواية الشفهية معرفة تاريخية إذ كان مضمونها يشكل شاهدا أو دليلا يبحث عنه المؤرخ لتعليل ما وقع أو لتدعيم وجهة نظره وبهذا تصبح الروايات الشفهية مجرد أدلة أو كشوف نفي أو إثبات وجهة نظر معينة[30].

أشار الباحثون إلى الأخذ بعين الاعتبار ثلاث قضايا عند تحويل الرواية الشفهية إلى رواية مدونة وهي:

1- إمكانية تعليم الكثير من الرواية الشفهية في ميدان التاريخ.

2- أن دراسة الماضي من خلال الرواية الشفهية، تشتمل على كل أنواع البحث التاريخي الأخرى، فهي مزيج من الإثارة والرتابة.

3- أن يوضع ما يجمع من روايات شفهية في متناول المؤرخين لتوسعة دائرة استخدامها خصوصا لدى كثير من المؤرخين الذين يقلّلون من أهميتها، اذ لا بد من نشرها وجعلها متاحة مثل التاريخ المدّون[31].

وهنا يبرز دور المؤرخ حيث يقوم بفحص الروايات الشفهية والدافع من ورائها وطريقة تناقلها وخاصة فحص الحبكة الأسلوبية والهدف والخلفية للراوي، أيضا يقوم المؤرخ بفحص البناء الداخلي والخارجي للرواية الشفهية من خلال المنهج المعروف لدى المؤرخين وإن تم ذلك بنجاح فيمكن وقتها تدوين الرواية الشفهية لتصبح وثيقة هامة مثل الوثائق الأخرى. لذا وضع المؤرخون عدة شروط لتحويل الرواية الشفهية إلى وثيقة مدونة حيث ان أغلب التراث الشفهي يحمل في طياته تناقضات كثيرة مع التاريخ المدّون وأغلب الروايات الشفهية تسودها ثلاث مفاهيم ثقافية مهمة هي:

- افتقارها لمفهوم القياس الزمني.
- عدم وضوح الفكرة التاريخية فيها.
- النظر إلى الماضي بمثالية كبيرة.

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

تشكل كلها معوقات البحث في التراث الشفهي.

تتألف عملية البحث في في مجال التراث الشفهي من ثلاث عناصر متتالية :

1- مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية.

2- مرحلة تصنيف ما تم جمعه وفهرسته وإيداعه في أرشيف.

3- مرحلة الدراسة والتحليل[32].

أما جمع المادة الشفهية فيتم بثلاث طرق وهي:

أ- طريقة الملاحظة.

ب- طريقة المشاركة.

ج- طريقة المقابلة[33].

إن المقابلة الشخصية أو التاريخ الحي لأجل تسجيل النص الشفهي تعد أهم طريقة لتجميع التراث الشفهي، المؤرخ في هذه الحالة يعيش الأحداث التاريخية التي يدرسها عبر المشاركة فيها أو ممن سمعها من المشاركين فيها وله إمكانية الحوار المباشر معهم واستيضاحهم حول جوانب كثيرة من الماضي.

تعتبر المقابلة أساس البحث في التاريخ الشفهي وهي الطريقة الوحيدة المتوفرة للحصول على المعلومات[34]، والمقابلة هي حوار لفظي مباشر هادف وواعي يتم بين شخصين (باحث ومبحوث) أو بين شخص ومجموعة من الأشخاص للحصول على معلومات أو بين شخص ومجموعة من الأشخاص للحصول على معلومات يتعذر الحصول عليها بالأدوات أو التقنيات ويتم تسجيله عبر التدوين كتابة أو عن طريق التسجيل الصوتي.

والمقابلة طريقة يتم فيها سبر غور حياة فرد غير معروف للباحث بواسطة تحفيز وتحيين ذاكرة الراوي حول المعلومات التي ترجع إلى الماضي، أو فيما يتعلق بحياته الشخصية، أو محيطه الاجتماعي عن طريق طرح أسئلة تمهيدية للأسئلة الرئيسية المتعلقة بشكل مباشر بحياة وآراء ومواقف وقيم المبحوث (الراوي)، وتحدث هذه العملية وجها لوجه وتكون إجابتهم بشكل شفوي[35].

ويتوجب على الباحث في التراث الشفوي إتباع الخطوات التالية للحصول على مقابلة جيّدة:

أ- **المقابلة التمهيدية**

وتسمى أيضا جلسة الاستكشاف وتعتبر اتصالا أوليا بين الباحث والراوي وهي فرصة لإنشاء نوع من الألفة والثقة بينهما، وهذه العلاقة ستخدم الباحث بشكل كبير وتحدّد قدرته على اكتساب مودة الراوي. وهي في الآن ذاته تعطيه الفرصة لاختبار معلومات الراوي وصفاء ذاكرته أيضا تساعد الباحث على تعديل أسئلته وتعرف الرواي بأهداف البحث وأخذ موافقته وفي الآن ذاته يتعرف الباحث على الظروف التي ستتم فيها عملية التسجيل[36].

ب- **ضرورة اطلاع الراوي على موضوع المقابلة**

من الضروري أن يكون الراوي على علم بموضوع المقابلة وعلى الباحث أن يمده بملخص الموضوع ومجموعة الأسئلة المقترحة ليجيب عليها، فإلمام الراوي بموضوع البحث يمنحه الفرصة لتجميع مادة الموضوع وتنظيمها

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723-2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 153– 164

والبحث عن موجودات ومتقنيات لها صلة بالموضوع: مخطوطات، جرائد، صور وغيرها[37]...

ت- **تحديد زمان ومكان المقابلة**

يتوجب على الباحث في التاريخ الشفوي أن يتريث كثيرا قبل أن يحدّد مكان اجراء المقابلة مع الراوي، لأن تحديد المكان لا يكون بصورة عشوائية ولا يكون كالمعتاد في منزل الراوي أو مكان عمله في بعض الأحيان[38]. فالاختيار الصحيح لمكان المقابلة يساهم في نجاحها ومن المواصفات التي يجب أن تتوفر في مكان المقابلة: الهدوء، عدم وجود أشخاص آخرين غير مستهدفين قد يؤثر تدخلهم في سير المقابلة[39].

أما تحديد زمن المقابلة، فيتوجب على الباحث في التاريخ الشفهي أن يحدّد أثناء المقابلة الأوقات المناسبة لإجراء المقابلة الفعلية مع الراوي، واختيار الوقت المناسب يعتبر عنصرا هاما من عناصر نجاح المقابلة وفي الآن ذاته يوافقه الراوي على اختياره ويشعر بالراحة حيال هذا الموعد.

ث- **ضبط الأسئلة وطريقة إدارة الحوار**

على الباحث أن يدرس موضوع بحثه في الكتب والمراجع ليكون صورة واضحة حول موضوع البحث، ثم يبدأ في وضع أسئلة متسلسلة يشترط فيها الوضوح والموضوعية وتغطية جميع جوانب الموضوع وتخضع لترتيب مناسب ولا تكون متحيزة، إضافة إلى عدم طرح أسئلة شخصية دقيقة للراوي[40] وأن تكون مفتوحة.

ومن القواعد الأخرى المتبعة أثناء المقابلة البدء بحوار تلقائي مع الراوي لان ذلك يشعره بالارتياح، ثم تبدأ المقابلة بتقديم بعض الأسئلة السهلة ذات الطابع الحيادي تتدرج نحو الأسئلة الأكثر أهمية. ويتوجب على الباحث أن يكون حياديا وان لا يحاول خداع الراوي لأنه سيتفطن إلى ذلك. كما يجب عدم إجهاد الراوي بكثرة الأسئلة وعدم إعطائه الفرصة لإدارة المقابلة والسيطرة عليها. ويتطلب الإصغاء الجيد للراوي وتشجيعه على الاستمرار بالحديث وذلك من خلال الإيماء بالرأس وبعض الإشارات التي تشعره بأن الباحث منصت ويفهم ما يطرحه والحفاظ على دافعية الراوي طوال فترة المقابلة[41]. وعلى الباحث أيضا أن يقدم الشكر من حين لآخر إلى الراوي على بذل الجهد والوقت في الإجابة عن الأسئلة ويشعره بقيمة المعلومات التي يقدّمها.

ويتوجب على الباحث أن يطرح سؤالا واحد في كل مرة ويتأكد من أن الراوي فهم السؤال جيدا ويعطيه فرصة كافية للإجابة ويستمع إليه باهتمام ويراقب سلوكه وتعبيرات وجهه ولا يبدي دهشة أو استغرابا إذا كشف الراوي عن حقائق غير عادية[42]، ويجب على الباحث أن يتحدث بصوت مسموع وبعبارات واضحة وان يستخدم لغة بسيطة عند طرح الأسئلة ويتجنب النقد المباشر ثم إنهاء المقابلة بطريقة تدريجية وليست مفاجأة تشعر الراوي بالإحباط[43].ومن الطرق المعتمدة لمعرفة مدى واقعية ما يرويه الراوي عن حدث معين هو التساؤل أكان عايش الحدث وعاصره؟ لأن الرواية الشفوية تتطلب راو عايش وعاصر الحدث لا راو سمع عن الحدث الذي وقع[44].

من الضروري "بناء أرشيف شفهي" على قواعد صارمة من الانتقاء والتقييم، فالأرشيفيين اليوم يجب أن يكونوا واعيين بطرق حفظ وتداول وتقييم الشهادات الشفهية لإدخالها في مكانها و ترتيبها الأرشيفي وإعداد

ما قبل وأثناء المقابلات الشخصية[45] وتعيين ما يحتاجه في أعمال الفهرسة والتضييق، بمعنى الآخر الأرشيفي سيقوم بمهامه لكن مع مادة وثائقية أصيلة ومنفردة تتطلب منه الخروج من حيز الأعمال التقليدية المعتادة إلى آفاق أكثر رحابة فالحال هنا هو تأسيس تراث وثائقي متكامل[46].

مما لاشك فيه أن التاريخ يقع على الخطوط الأمامية لديمقراطية **الإطلاع على الأرشيف للأجيال المقبلة**، وينبغي أن تكون على وعي بالقيمة التاريخية لمثل هذا النوع من الوثائق وبالتالي الوعي بقيمة إنتاجها وحفظها وإتاحتها[47].

الخاتمة

لقد أصبح المصدر الشفهي مكوّنا هاما من مكوّنات الجهد **التقميشي** الذي ينهض به الباحث في التاريخ ويمكن القول أن الحضور القوي للمصدر الشفهي التأليفي التاريخي قد شكّل: **"إحدى أكبر الثورات في العلوم التاريخية المعاصرة"**[48] **وإحدى السمات الخصوصية للتاريخ الراهن"**[49].

لا بد من الإقرار إذن بأن التراث الشفهي لا يزال يحمل في طياته الكثير من الحقائق والمعلومات النفيسة والهامة التي لا نجدها في التاريخ المدوّن على خلاف ما ذهب إليه بعض المؤرخين أمثال روبرت لوي Robert Lowie "إنني لا أستطيع أن أعلق أية قيمة تاريخية على الرواية الشفهية تحت أية ظروف"[50]. إلا أن أهمية المؤرخ تتضح فيما يقوم به من فحص للرواية الشفوية وتقويمها وكذلك طريقة تناقلها والهدف والخليفة للراوي، كما يمكن أن يقوم بفحص الحبكة الأسلوبية والبناء الداخلي والخارجي للرواية ذلك من شأنه أن يسهّل عملية التدوين لكن لا بد من الاعتراف بوجود عدّة مشاكل يعني منها التاريخ الشفوي من أهمها:

- الافتقار لمفهوم القياس الزمني
- عدم وضوح الفكرة التاريخية
- النظرة إلى الماضي بمثالية كبيرة...

---

[1] ليسير (فتحي)، **تاريخ الزمن الراهن، عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر**، دار محمد علي للنشر، 2012، ص 123.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ورث)، ج 2، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 200 .

[3] الزمخشري، **أساس البلاغة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، د.ط، 1979، ص 670.

[4] الجابري (محمد عابد)، **التراث والحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1، 1991، ص22.

[5] العسكر (عبد الله بن إبراهيم)، أهمية تدوين التاريخ الشفهي، http ://www.alukah.net/culture/، ص 8.

[6] سلامة (نبيل جورج) ، "التراث الشفوي والمصادر المدونة"، الجزء الأول، **مجلة قارينوس العلمية**، السنة الثالثة، العدد 2، بنغازي 1990، ص 60.

[7] جبور (عبد النور)، **المعجم الأدبي**، دار الملايين، بيروت، ط2، 1981، ص 63.

[8] Hanige, David, Oral historiography, 1st, ed, University of texas, Auston, 1983, p20.

[9] Ibidem.

[10] Feder (A.), Methodik, Gegensburg Lehrbuch der Geschichtlichen, 1924, p 66.

[11] شلبي (عمر راجح)، "الرواية التاريخية بين المشافهة والتاريخ"، **مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح**، غزة–فلسطين 2008، ص 70.

[12] الحويري (محمود محمد)، **منهج البحث في التاريخ**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص 111.

[13] ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد)، **المقدمة**، مطبعة الكتاب بيروت، دت، ص 6.

[14] الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، طبعة القاهرة، ج1، دت، ص 4.

[15] Descamps (F.), *Les sources orales et l'histoire, récit de vie, entretiens témoignages oraux*, Bréale, 2006, p 11.

[16] هينج (ديفيد)، **التاريخ الشفهي**، ترجمة ميلاد المقرحي، مركز دراسة جهاد الليبيين، سلسلة الدراسات المترجمة، 20 ، طرابلس 1991 ، ص 24.

[17] نفس المرجع، ص 26.

[18] Descamps (F.), *Les sources orales…op.cit*, p 11.

[19] الخوري (موسى)، "تاريخ التأريخ الشفوي...تطور وتاريخ المفهوم"، 12 يونيو 2018، http://wathiqat-wattan.org

[20] **المرجع نفسه.**

[21] **المرجع نفسه.**

[22] التاريخ الشفوي تاريخ من لا تاريخ له https://www.mominoun.com/articles

[23] مجموعة مؤلفين، **التاريخ الشفوي مقاربات في الحقل السياسي العربي (فلسطين والحركات الاجتماعية)**، المجلد الثالث، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2015، https://books.google.tn/

[24] بدر (أحمد أنور) إسماعيل متولي (ناريمان) عبد المنعم (غادة)، **مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات في القرن العشرين**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2013.

[25] الحسن (يوسف أحمد)، "تاريخ المسحوقين التاريخ الشفهي"، https://www.alwahamag.com

[26] الخوري (موسى)، "تاريخ التأريخ الشفوي...تطور وتاريخ المفهوم"، 12 يونيو 2018، http://wathiqat-wattan.org

[27] **المرجع نفسه.**

[28] سيد حامد حريز، مناهج التراث والتاريخ الشفهي عند العرب، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الآداب، أبو ظبي 1992، ص 4.

[29] فانيسيا يان، الماثورات الشفهية، دراسة في المنهجية التاريخية، ترجمة أحمد علي موسى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1981، ص 186.

[30] قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت 1963، ص 94.

[31] Gardinet. P, The nature of historical Explanation, London university, Press 1968, p 56.

[32] العسكر (عبد الله بن إبراهيم)، أهمية تدوين...نفس المرجع، ص 12.

[33] المرجع نفسه.

[34] بن حماد الجوهري الفارابي (إسماعيل)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، ج 9، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1978، ص 225.

[35] جليل عمر (معن)، **الموضوعية والتحليل في البحث العلمي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983، ص 208.

[36] الجابري (عثمان)، **ضوابط منهجية في آليات إجراء المقابلة الشخصية في الرواية الشفوية**، ص 5-6.

[37] نفس المرجع، ص 6-7.

[38] مؤنس (حسين)، **التاريخ والمؤرخون**، دار المعارف القاهرة، 1984، ص 65- 164.

[39] الجابري (عثمان)، **ضوابط...نفس المرجع**، ص 7-8.

[40] فنديلجي (عامر)، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية**، دار الهازوري للنشر والتوزيع، عمان 2002، ص 190.

[41] الجابري (عثمان)، **ضوابط...نفس المرجع**، ص 10.

[42] عبيدات (ذوقان) وآخرون، **المهارات البحثية للطلاب**، دار مجدلاوي، عمان، د.ت، ص 136.

[43] الجابري (عثمان)، **ضوابط...نفس المرجع**، ص 10.

[44] أبو شبيكة (عدنان احمد)، "منهج نقد الوثيقة الرسمية وإمكانية تطبيقها على الرواية في التاريخ الشفوي"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي، التاريخ الشفوي الواقع والطموح، 15-16 ماي 2006.

[45] عامر (أميرة)، "التاريخ الشفهي: تاريخ يفعله التاريخ"، journal.cybrarians.info

[46] **المرجع نفسه.**

[47] **المرجع نفسه.**

[48] Soulet François, Guinle- Lorient, Sylviane, Précis d'histoire immédiate. Le monde depuis la fin des années 60, Paris , A.Colin, 1989, p 39.

[49] Ibidem.

[50] Lowie (R.), *Oral tradition and history, JAF, 30, Robert Perks. Oral History: Talking about the past history, the historical As-sociation in association with oral history society*, London, p1995, p163.